

The Moral Principle “Karma” in Ancient Indian Philosophy

Ali Redha Sharaf*

Abstract

Indian civilization, one of the oldest in human history, is estimated to have begun around 3300 BCE in the Indian subcontinent and spread widely across Asia. Over time, it produced foundational principles that evolved into multiple variations. Among these are transmigration, reincarnation, embodiment, rebirth, and karma; all linked to the soul's movement from one body to another. This study clarifies the subtle distinctions among these concepts. This research examines the moral principle of karma using a philosophical analytical methodology, striving to use the various terms in their original language and context as much as possible to avoid any distortion. In the first part, the research sheds light on three different views regarding the reasons behind the emergence of this principle in ancient Indian thought. The second part analyzes the concept of karma in orthodox and heterodox Indian schools, focusing on the relationship between the principle of karma and the existence of the soul and the divine in these traditions. By highlighting karma as a core ethical and philosophical concept, the research enhances the understanding of Eastern philosophy's historical depth. The interplay, multiplicity, and diverse methodologies within these ideas reflect the richness of Eastern intellectual traditions and their longstanding presence in India. Overall, the research provides an important resource for those interested in Indian and comparative philosophy, offering a systematic examination of various Indian schools and addressing the relative scarcity of such studies in Arabic-language scholarship.

Keywords: moral philosophy, Indian Philosophy, Karma, rebirth.

* Assistant Professor, Philosophy Department, College of Arts, Kuwait University, Kuwait. Ali.sharaf@ku.edu.kw

Submitted: 8/12/2024, Revised: 16/1/2025, Accepted: 19/1/2025.

<https://doi.org/10.34120/ajh.v43i171.3373>

To cite this article / الإشارة المرجعية للبحث

شرف، علي: "مبدأ (الكارما) الأخلاقي في الفلسفة الهندية القديمة"، *المجلة العربية للعلوم الإنسانية*، جامعة الكويت: العدد 171، 2025، 55-81.

Sharaf, Ali. "The Moral Principle "Karma" in Ancient Indian Philosophy", *Arab Journal for the Humanities*: 171, 2025, 55-81.

مبدأ (الكارما) الأخلاقي في الفلسفة الهندية القديمة

علي رضا شرف*

الملخص

تعد الحضارة الهندية من الحضارات القديمة في التاريخ البشري؛ إذ يُقدّر المؤرخون بدايتها بنحو 3300 قبل الميلاد في شبه القارة الهندية، وامتدادها عبر آسيا من اليابان والصين شرقاً إلى أفغانستان غرباً؛ حيث أسهم هذا الانتشار الواسع والممتد زمنياً وجغرافياً في تكوين جملة من المبادئ الأساسية، وظهور نسخ متعددة منها، ومن بين هذه المبادئ مفاهيم التناسخ والتقمص والتجسد، وإعادة الميلاد و(الكارما)، التي رغم ارتباطها جميعاً بفكرة انتقال الروح من جسد إلى آخر، فإن بينها فروقاً دقيقة سيوضحها هذا البحث. يعتمد البحث منهج التحليل الفلسفي لمناقشة مبدأ (الكارما) الأخلاقي، والالتزام قدر الإمكان باستخدام المصطلحات المختلفة من لغتها الأصلية في سياقها، لتفادي أي تحريف أو إضافة أفكار قد لا تكون ضرورية في هذه المبادئ، وفي الجزء الأول يُسلط البحث الضوء على ثلاثة آراء مختلفة حول أسباب نشأة هذا المبدأ في الفكر الهندي القديم، أما الجزء الثاني فيحلل مفهوم (الكارما) في المدارس الهندية الأصولية والتجديدية، مركزاً على علاقة مبدأ (الكارما) بوجود النفس والإله في تلك المدارس.

يسلط البحث الضوء على مبدأ (الكارما) بوصفه أحد المفاهيم الأخلاقية والفلسفية الأساسية في الحضارة الهندية، الذي يسهم في فهم تطور الفلسفة الشرقية عموماً؛ حيث إن هذه الأفكار والمبادئ وتربطها وتعددتها ومناهجها تدل بوضوح على عمق الفلسفة الشرقية ووجودها في الهند، فهذا البحث هو رد على كل ادعاء قائل بأن الشرق لم ينتج أي نتاج فلسفي، وأن الفلسفة بدأت ونشأت عند اليونان، ويعدّ البحث مصدراً مهمّاً للمهتمين بالفلسفة الهندية والفلسفة المقارنة؛ إذ يقدم قراءة معمّقة ومنهجية لمبادئ المدارس الهندية المختلفة، وهو بذلك يعالج نقص الدراسات المتعلقة بالفلسفة الشرقية في المكتبات العربية.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأخلاق، الفلسفة الهندية، كارما، إعادة الميلاد.

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة الكويت، دولة الكويت. Ali.sharaf@ku.edu.kw

الاستلام: 2024/12/8، التعديل النهائي: 2025/1/16، إجازة النشر: 2025/1/19

<https://doi.org/10.34120/ajh.v43i171.3373>

الإشارة المرجعية للبحث / To cite this article

شرف، علي: "مبدأ (الكارما) الأخلاقي في الفلسفة الهندية القديمة"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 171، 2025، 55-81.

Sharaf, Ali. "The Moral Principle "Karma" in Ancient Indian Philosophy", Arab Journal for the Humanities: 171, 2025, 55-81.

المقدمة

تعدّ الحضارة الهندية من الحضارات القديمة في التاريخ البشري؛ حيث يقدر المؤرخون بداية نشأتها من 3300 سنة قبل الميلاد في شبه القارة الهندية، وتمتد هذه الحضارة لتشمل العديد من الدول في أكبر قارة في العالم وهي آسيا، مثل: اليابان والصين والهند وإندونيسيا في الشرق وصولاً إلى أفغانستان في غرب قارة آسيا؛ حيث أثر هذا الامتداد الجغرافي الواسع في تكوين وتطور مبادئ عدّة أساسية في هذه الحضارة، وكذلك أدّى هذا التوسّع الجغرافي والامتداد الزمني لظهور نسخ عدّة مختلفة من هذه المبادئ، ومن هذه المبادئ ما يطلق عليه أحياناً تناسخ، وتقمص، وتجسد، وإعادة ميلاد الأرواح، أو (الكارما)؛ وتشير هذه المصطلحات عموماً إلى فكرة إعادة بعث أو ولادة روح الفرد في جسد آخر، وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات قد تستخدم لتشير للفكرة نفسها إلا أن هناك بعض الاختلافات سنوضحها لاحقاً. وهذا الامتداد الجغرافي والزمني للحضارة الهندية أثار العديد من الأسئلة والتحديات، فهل هناك فروق جوهرية في فهم مبدأ (الكارما) بين المدارس الهندية المختلفة؟ وما أثر التنوع الفلسفي في تفسير البعد الأخلاقي للكارما؟ وكيف نفسّر تعدد الرؤى في هذه المدارس؟ في هذا البحث سأتابع منهج التحليل النقدي المقارن في الفلسفة لنقاش مبدأ (الكارما) الأخلاقي وتناوله؛ وذلك من خلال تحليل هذه التحديات، ومحاولة فهم هذا المبدأ في الفكر الهندي في جزئين. يتناول الجزء الأول من البحث الآراء المختلفة حول سبب نشأة مبدأ (الكارما) الأخلاقي في الفكر الهندي القديم، ويتطرق الجزء الثاني إلى تحليل مبدأ (الكارما) في المدارس الهندية الأصولية والتجديدية من خلال علاقة هذا المبدأ بفكرة وجود النفس والإله، وسيبين البحث أنّ هذه الأفكار والمبادئ وترابطها وتعددتها ومناهجها تدل بوضوح على عمق الفلسفة الشرقية ووجودها في الهند.

لا يخفى على أحد قلّة البحوث التي تتناول الموضوعات المتعلقة بالفلسفات الشرقية في الأدبيات العالمية؛ حيث يعلق المفكر البوذي الغربي (Traleg Kyabgon) على الوضع الراهن بالقول: "... وعلى الرغم من أن فكرة (الكارما) متداولة عبر العديد من الأجيال، فلا يزال هناك صعوبة في الحصول على شرح واضح لهذا المبدأ حتى للقارئ المعاصر"⁽¹⁾، أي على الرغم من وجود نصوص كثيرة من اللغات الشرقية تتحدث عن مبدأ

(الكارما)، إلا أنه لا يوجد تحليل فلسفي مقارن وواضح لهذا المبدأ، وهذا الأمر ينطبق على المكتبة العربية أيضًا بسبب مشكلات وصعوبات عدّة، كالترجمة من اللغات الشرقية القديمة إلى العربية، فعادةً لا تكون هذه النصوص مترجمة مباشرة من اللغة الأم إلى اللغة العربية، بل تكون مترجمة من اللغة الأم كاللغة السنسكريتية، والبالية القديمة، أو التيبية إلى لغة وسيطة كالإنجليزية أو الفرنسية، وأخيرًا إلى اللغة العربية.

ومن الأسباب الأخرى لقلّة الأعمال التي تتناول الفلسفة الشرقية عمومًا الامتداد الزمني والتوسّع الجغرافي لهذه الحضارة؛ حيث أدى هذا الأمر إلى عدّها ديانات أو ثقافات، وليس لها علاقة بالفلسفة، فتدرس الموضوعات الخاصة بالحضارة الشرقية في أقسام الأديان أو الدراسات الشرقية في الجامعات العالمية⁽²⁾، هذه الأسباب أدت -أحيانًا- إلى تحريف هذه المبادئ في سبيل جعلها قابلة للفهم ومقبولة في عالمنا المعاصر؛ لذلك سيحاول هذا البحث -قدر المستطاع- الالتزام بظاهر النص؛ لأنّ التدخل المفرط في تحليل هذه النصوص قد يؤدي إلى ضرر بليغ بدلًا من المساعدة في الوصول إلى جوهر هذه المبادئ، وفي حال غموض النص أو تعارضه مع نص آخر، سنضطر إلى اللجوء إلى التحليل والتأويل حتى نصل إلى نتيجة ما، وهنا نشير صراحة لهذا الأمر عند اللجوء إليه حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

لقد سبقت الإشارة إلى أن هناك مصطلحات ومفاهيم عدّة تستخدم للإشارة إلى هذا المبدأ؛ لذلك من المهم أن نفرّق بين مصطلحين سنكتفي باستخدامهما في السطور القادمة من البحث، المصطلح الأول: وهو إعادة البعث/الولادة (Rebirth)، والثاني: هو (كارما Karma)⁽³⁾، ففي قاموس (Merriam-Webster) تعرّف إعادة الولادة/البعث (Rebirth) بـ"الولادة الجديدة أو الثانية، أو التجديد الروحي"⁽⁴⁾، بينما تعرّف كلمة (كارما Karma) "بالقوة التي تنتجها أفعال الشخص، التي يُعتقد في الهندوسية والبوذية بأن نتائجها الأخلاقية تحدد طبيعة وجود الشخص في حياته المقبلة"، وكذلك "هي القوة التي تؤثر على أحداث حياة الإنسان"، و تعرّف أيضًا بأنها "انبعاث مميز، أو هالة أو روح، تنبعث أو تحيي شخصًا أو شيئًا ما"⁽⁵⁾، ومن المهم أن نلاحظ أن هناك بعض الفروق بين تعريف المصطلحين في اللغة الإنجليزية، وأن توضيح هذه الفروق سيسهم في شرح هذا المبدأ وفهمه فهمًا أفضل في هذا البحث، فتعريف إعادة الولادة هو تعريف واسع، ولا يقتصر

فقط على الحضارة الهندية؛ حيث يستخدم أيضًا في المسيحية عند الحديث عن اعتناق الشخص للمسيحية، فيوصف بأنه "ولد من جديد" للإشارة إلى أنه عُفِرَ له كل ما سلف، وبدأ صفحة جديدة، وكذلك مصطلح إعادة البعث أو الولادة لا يحمل أي بعد أخلاقي، بينما مصطلح (كارما) يعدّ أضيق في التعريف بالنسبة لمصطلح إعادة البعث؛ حيث يظهر بوضوح البعد والقيود الأخلاقي في تعريفه؛ لأن حياة الإنسان وظروفه الحالية والمستقبلية تتحدد نتيجة لنتائج أفعاله الأخلاقية في الماضي، ويحتل البعد الأخلاقي دورًا مهمًا في عملية تطور هذا المبدأ. يقول (Keith): "... إن أهمية التناسخ تكمن في الأساس في حقيقة كونه نظامًا أخلاقيًا"⁽⁶⁾.

1.0 نشأة مبدأ (الكارما) الأخلاقي

قبل أن نبدأ بتناول مبدأ (الكارما) في المدارس الهندية المختلفة؛ سنتطرق باختصار إلى النظريات المطروحة حول كيفية ظهور هذا المبدأ وأسباب ظهوره؛ حيث يعتقد بعض المفكرين بأن السؤال حول كيفية ظهور هذا المبدأ وسبب ظهوره من الأسئلة المهمة التي يجب أن يتطرق الباحثون لها، فيصفه (W. D. Whitney) بأنه من "أصعب الأسئلة في تاريخ الديانات الهندية"، ويقول (Richard Salmon) بأنه "أكبر مشكلة ستواجه علم الاستشراق بعد قرن من الآن (في 1983)"⁽⁷⁾.

انقسم المفكرون والمهتمون بالفكر الهندي إلى ثلاثة فرق حول ظهور مبدأ (الكارما) وسبب ظهوره، فالفريق الأول ينطلق من افتراضية أن فكرة إعادة الولادة عموماً كانت منتشرة انتشاراً واسعاً في العالم، الذي بطبيعته أدى إلى تداولها في الهند أيضاً، فمبدأ (الكارما) مشتق من مبدأ إعادة الولادة، فيفرون بين مبدأين في تناول هذا الموضوع، المبدأ الأول: الذي كان منتشرًا في العالم يطلق عليه إعادة الولادة الأخروية (Rebirth Eschatology)، والمبدأ الثاني: الخاص بالثقافة الهندية يطلق عليه (الكارما) الأخروية (Karmic Eschatology)؛ حيث يرجع هذا الفريق ظهور مبدأ (الكارما) الأخروية إلى دخول العنصر الأخلاقي على مبدأ الولادة الأخروية العام، فمثلاً يطلق المفكر (Obeyesekere) مصطلح التخليق (Ethicization) على هذه العملية⁽⁸⁾، وعلى الرغم من أن هذا التفسير قد يقدم سببًا لظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي، إلا أنه ينطلق من فرضية من

غير إثباتها، وعلى الرغم من تبني (Seaford) لهذا الرأي، إلا أنه ينتقد (Obeyesekere) ويقرّ بأنه "لا يمكنه تفسير لماذا حدث هذا التطور في الهند واليونان وكيف حدث فيهما، ولماذا لم يحدث في أي مكان آخر"⁽⁹⁾.

أما الفريق الثاني فيرى أن سبب ظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي هو التطور المدني للمجتمع الهندي القديم، وتحديدًا الاستجابة لتحديد ومشكلة خاصّة في النظام القانوني آنذاك؛ حيث إن هذا النظام القانوني الذي وضعه البشر غير كامل وغير منزه عن الخطأ، فقد يتهرب بعضهم من عقوبات هذا القانون، ولهذا السبب اقترح بعض المفكرين أن مبدأ (الكارما) الأخلاقي أنشئ في الحضارة الهندية، بمعنى أنه حتى لو استطاع الفرد التملص من القانون في الحياة الحالية؛ سيعاقب ويحاسب على أفعاله في المستقبل أو حياة أخرى، وبالتالي لا مفرّ من عدالة النظام الكوني، ويحتج كل من (Bernstein) و(Katz) وهما من أتباع هذا الفريق، بأن مبدأ (الكارما) الأخلاقي يوازي مبدأ العقاب في الآخرة عند الديانات الإبراهيمية تحقيقًا للعدالة الإلهية⁽¹⁰⁾، ولكن على الرغم من أنه قد يبدو أن التفسير الثاني واعد بدرجة أكبر من نظرة الفريق الأول، إلا أن القول برؤية الفريق الثاني يستلزم بالبداية وجود نظام قانوني محدد في الهند، بينما لا يوجد دليل على وجود نظام قانوني في الهند عند ظهور هذا المبدأ، بل الأسوأ من ذلك أنه لا يوجد دليل على ظهور الكتابة في الحضارة الهندية في ذلك الوقت⁽¹¹⁾.

أما الفريق الثالث فهو يجمع بين الفريق الأول والثاني، فهو يشترك مع الفريق الثاني في أن سبب ظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي يعود إلى التطور المدني للمجتمع الهندي القديم، فبينما كان يرجع الفريق الثاني سبب ظهور هذا المبدأ إلى الاستجابة لأحد التحديات المتعلقة بالنظام القانوني؛ يرى الفريق الثالث أن السبب وراء ظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي هو تطور النظام الاقتصادي للمجتمع الهندي القديم، وتحديدًا دخول بناء نظام اقتصادي قائم على التعاملات النقدية، ويشترك مع الفريق الأول بأنه يتبنّى رؤية الفريق الأول في أن فكرة إعادة الولادة كانت منتشرة عمومًا وباتساع كبير في العالم، الذي بطبيعته أدى إلى تداولها في الهند أيضًا؛ حيث إن مبدأ (الكارما) الأخلاقي مشتق من مبدأ إعادة الولادة، وفي هذا الجانب ذكرنا فيما سبق أن (Seaford) يتبنّى رأي الفريق الأول، ولكنه ينتقد (Obeyesekere)؛ لأنه لم يقدم تفسيرًا لماذا تطورت فكرة إعادة الولادة إلى

مبدأ أخلاقي وكيف تطوّرت، وهنا يأتي (Seaford) ليحتج بأن سبب تطوّر فكرة إعادة الولادة إلى مبدأ أخلاقي هو قيام نظام اقتصادي قائم على التعاملات النقدية⁽¹²⁾، فالنظام الاقتصادي القائم على التعاملات النقدية يمكن أن يوجد فقط عندما يحترم أفراد المجتمع ممتلكات بعضهم ويتجنبون العنف، وهذا الاقتصاد يخلق تفاوتات في الثروة نتيجة للنجاح أو الفشل في إدارة الممتلكات، واستيعاب الأفراد لهذه القيم ضروري لاستمرار هذا النظام الاقتصادي، وغالبًا ما يخلق التبادل النقدي ديونًا تستمر مع مرور الوقت؛ مما يؤدي إلى رؤية العلاقات البشرية كأنها مرتبطة مع فكرة الدين والخطيئة، وهنا إشارة إلى أن قيم الاقتصاد النقدي قد تمتد إلى ما بعد الموت، مما يربطها بمفهوم (الكارما) بعد الموت؛ حيث إن الدين النقدي كالخطيئة التي يجب أن يتحمّل الإنسان فيها مسؤولية فعله، ويسدد الدين المستحق عليه، ولا تسقط هذه الخطيئة، وتبقى إلى أن يكفّر عنها الإنسان في حياة أخرى، ومن جانب آخر فالنجاح والفشل في إدارة الممتلكات التي ينتج عنها تفاوت الأفراد في المستوى المادي والمعيشي يمكن ربطه بالفشل والنجاح الأخلاقي، فعندما يكون الإنسان فاضلاً أخلاقياً سيولد في مرتبة أعلى والعكس صحيح.

إن تناول الأسس التاريخية والفكرية لظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي قبل الخوض في تفصيله ضمن مختلف المدارس الهندية خطوة بالغة الأهمية؛ لأنها توضح السياق الذي شكّل فيه هذا المفهوم وتطوّر، فقد رأينا أن هناك ثلاث نظريات رئيسة تفسّر سبب نشأة المبدأ وكيفيته، فالنظرية الأولى تفترض انتشار فكرة إعادة الولادة (Rebirth Eschatology) عالمياً، التي تطوّرت في الهند إلى (كارما) أخروية (Karmic Eschatology) بسبب إدخال عنصر أخلاقي على هذه الفكرة العامة، أما النظرية الثانية فتربط ظهور (الكارما) الأخلاقية بالتطوّر المدني للمجتمع الهندي، ولا سيّما الحاجة إلى نظام عدالة تتخطّى عيوب القوانين البشرية القاصرة، فيأتي المبدأ ضمناً لعدالة كونية لا يمكن الفرار منها حتى لو أفلت الفرد من عقوبة القانون البشري. وأخيراً، تمزج النظرية الثالثة الرؤيتين السابقتين، وترى أن مبدأ إعادة الولادة كان منتشرًا عالمياً، وفي الوقت نفسه حمل السياق الاقتصادي النقدي الذي تطوّر في الهند قدرًا أكبر من النزعة الأخلاقية؛ إذ عزّز نظام التعاملات المالية فكرة الدين والخطيئة واستمرار العقوبة أو الجزاء بعد الموت.

بناءً على هذه الخلفية المتعددة الرؤى، يصبح فهمنا لمبدأ (الكارما) أكثر شمولاً؛

إذ نتبين أن تطوره لم يأت من فراغ، بل جاء نتيجة تداخل عوامل ثقافية، ودينية، وقانونية، واقتصادية، فهذا التمهيد يضيف عمقاً تاريخياً وفكرياً ضرورياً قبل الانتقال لمناقشة مفهوم (الكارما) الأخلاقية في المدارس الهندية المختلفة، ويبيّن في الوقت ذاته مدى تعقيد الفلسفة الهندية وتنوع مصادرها ووجهات النظر فيها.

2.0 مبدأ (الكارما) في المدارس الهندية المختلفة⁽¹³⁾

بعد التطرق إلى سبب ظهور مبدأ (الكارما) الأخلاقي، سنتناول الآن أحد التحديات في هذا البحث وهو إيجاد تقسيم مناسب للمدارس الفكرية المختلفة في الهند، وعلى الرغم من محاولة بعضهم تقسيم هذه المدارس تاريخياً تقسيماً كونولوجياً إلا أن هناك العديد من التقاطعات والخطوط المشتركة التي تجعل مهمة رسم فاصل قاطع وواضح بين هذه المدارس أشبه بالمستحيل، فالعديد من هذه المدارس يشترك في بعض المبادئ ويختلف في مبادئ أخرى، ولكن سنحاول قدر المستطاع أن نُقسّم هذه المدارس وفقاً لثلاثة جوانب أساسية: فكرة الإله، وماهية النفس ووجودها، ومفهوم (الكارما) في كل مدرسة فكرية، واخترنا هذه الجوانب؛ لأن شكل مبدأ (الكارما)، ومفهومه وتطوره يعتمد اعتماداً كبيراً على موقف هذه المدارس من النفس ووجودها، وماهيتها، وفكرة الخالق.

يفرّق الباحثون بين المدارس الهندية القديمة عادةً نسبة إلى استناد هذه المدارس في مبادئها الأساسية على نصوص (الفيدا)⁽¹⁴⁾، وقبل أن نبين هذا التقسيم، من المهم أن نقدم نبذة صغيرة عن هذه النصوص؛ حيث تعدّ نصوص (الفيدا) أقدم النصوص المدونة في الثقافة الهندية، وجمعت هذه النصوص عبر مُدَدٍ زمنية مختلفة، وهي مقسّمة إلى أربع مجموعات نصية: (Rigveda, Yajurveda, Samaveda, Atharvaveda)، ويقدر المؤرخون أن أقدمها يعود إلى 1500 قبل الميلاد، وكل مجموعة من نصوص (الفيدا) مقسّمة إلى أربعة أقسام (Samhita, Brahmins, Aranyakas, Upanishads)، ويتميز (الأبانشاد)⁽¹⁵⁾ بطابع فلسفي بخلاف الأقسام الأخرى الذي يطغى عليها الجانب الروحاني والطقوسي؛ حيث يعدّ (الأبانشاد) القاعدة الفلسفية الأولية التي تستند عليها الكثير من المبادئ الأساسية في المدارس الهندية المختلفة.

لنرجع الآن إلى تقسيم المدارس الهندية؛ حيث تقسم المدارس الفلسفية الهندية المختلفة إلى المدارس الأصولية (Orthodox)، والمدارس التجديدية (Heterodox) نسبة

لا اعتماد مبادئها على نصوص (الفيدا)، فالمدارس الأصولية هي المدارس التي تضم كلاً من: (Nyaya, Vaisheshika, Samkhya, Yoga, Mimamsa, Vedanta)⁽¹⁶⁾، أما المدارس التجديدية فتضم كلاً من: (Buddhist, Jain, Charvaka, Ajivikas). وأهم ما يميز المدارس الأصولية اعتماد مبادئها على نصوص (الفيدا)، وبالتالي القبول بوجود النفس والإله أو الخالق أو الحقيقة الكونية العظمى أو المبدأ الأساسي، وتعدّ هذه المبادئ أساسية في نصوص (الفيدا)، والعكس صحيح بالنسبة للمدارس التجديدية، فمبادئها لا تعتمد على نصوص (الفيدا)، وبالتالي لا تقول بضرورة وجود النفس، أو فكرة الخالق أو الإله، أو الحقيقة الكونية العظمى، أو المبدأ الأساسي. وستعرف في السطور القادمة كيف أن هذه المبادئ أثرت تأثيراً كبيراً على مفهوم (الكارما) عند تلك المدارس الهندية المختلفة.

1.1 المدارس الأصولية

2.1.1 (ساماخيا Sāṃkhya)

تعدّ مدرسة (الساماخيا) من المدارس الأصولية في الحضارة الهندية، وهي لا تعتقد بوجود فكرة الإله (Īśvara)؛ حيث تُصنّف من المدارس اللاأدرية أو الإلحادية، وتعتقد مدرسة (الساماخيا) بإطار ميتافيزيقي ثنائي يتكون من حقيقتين، وهما الوعي (بورشا Purusha)، ويمثل الأنا، والطبيعة (براكريتي Prakriti)، والوعي أو الأنا (الأتمان Ātman) في مدرسة (الساماخيا) يعدّ أبدياً⁽¹⁷⁾، غير متغير، وسليماً (غير فعال)، ويختلف عن كل أنواع الوجود المادي وأشكاله، والوعي في مدرسة (الساماخيا) متعدد، فهناك أنفس عدّة وهي مختلفة وغير متّحدة. أما الطبيعة فهي الوجود المادي وتضم كل شيء له طاقة وشكل، وهو متغير، ويتكون من ثلاث خصائص: (غونات Gunas): (ساتفا Sattva)، وتمثل الخير والانسجام، و(راجاس Rajas)، وتمثل في النشاط والشغف، و(تاماس Tamas)، وتمثل في الخمول والجهل، فالكون وكل ما فيه تكون نتيجة التفاعل بين هاتين الحقيقتين.

تشارك مدرسة (الساماخيا) مع غيرها من المدارس الهندية بالسعي إلى التحرر أو التخلص من المعاناة؛ حيث تتولّد المعاناة (الموكشا Moksha) في العالم نتيجة الاعتقاد غير الصحيح للنفس بأنها شيء واحد متّحد مع الطبيعة المادية، عندئذ سيعتقد الوعي الأبدي بأنه هو الجسد المادي المؤقت، وهذا سيؤدي إلى الجهل بطبيعته، ومن بعدها

يقود إلى الشعور بالفردية والأناية والارتباط بالعالم المادي غير الأبدي، وعندئذ سيسعى الإنسان إلى إشباع لذاته المادية والسيطرة واللذة والمال، وهذا التعلق بالأمر المؤقتة سيؤدي إلى الشعور بالألم والحسرة عند فقدان أو تغير هذه الأمور المادية المؤقتة، وبالتالي ستستمر دورة إعادة الميلاد المسبب للمعاناة.

إن (الكارما) في مدرسة (السامخيا) مرتبطة بالثنائية الميتافيزيقية للحقيقة، فقد ذكرنا سابقاً أن الوعي سلبي؛ أي أنه لا يتدخل في أي فعل، وبما أن (الكارما) مرتبطة بأفعال الإنسان ونتائج هذه الأفعال؛ فـ (الكارما) لا تنتمي إلى عالم الوعي، بل تنتمي إلى عالم الطبيعة والمادة، والأفعال الصادرة من الذهن والجسم والأنا والحواس التي تنتمي إلى هذا العالم، وهذه الأفعال تولد المعاناة وإعادة الولادة في الحياة الحالية أو المستقبلية، وعليه ستستمر معاناة الإنسان في هذا العالم ما دام يعتقد بأن الوعي والطبيعة هما شيء واحد، وستنتج (الكارما) السلبية.

يتحقق التحرر من دورة الولادة والموت والمعاناة (الموكشا) في مدرسة (السامخيا) من خلال المعرفة، التي تؤدي إلى إدراك النفس التام بانفصالها عن الطبيعة المادية المؤقتة، وأنهما شيان متميزان، وتحدث هذه المعرفة من خلال ممارسة (اليوجا)، التي تعدّ الوسيلة العملية للوصول إلى هذا التحرر، فمن خلال التمارين الذهنية، والالتزام الخلقي، واحكام السيطرة على الحواس، يستطيع الإنسان تدريجياً أن يقلل من وهم الذهن المادي واضطرابه، وبالتالي تعمل (اليوجا) على تهيئة النفس لإدراك حقيقة انفصالها عن الواقع المادي.

2.1.2 (اليوغا Yoga)

تأثرت مدرسة (اليوغا) تأثراً كبيراً جداً بمدرسة (السامخيا)؛ حيث يصنفها بعض الباحثين بأنها الإطار العملي للفكر النظري في مدرسة (السامخيا)، فبينما تهتم مدرسة (السامخيا) بالمبادئ (الميتافيزيقية) للواقع؛ تقوم مدرسة (اليوغا) بتوفير القواعد والطرائق العملية لتحقيق التحرر من المعاناة، فهي تؤمن بوجود الإطار الثنائي للواقع المتكوّن من الوعي والطبيعة، ونتيجة تأثرها بمدرسة السامخيا فهي تشترك معها في الهدف وهو إدراك انفصال الوعي عن الواقع، وهذا ينطبق أيضاً على اعتقادها بمبدأ (الكارما)؛ حيث الاعتقاد

غير الصحيح بوحدة الوعي وعالم المادة سيولد (كارما) سلبية، وبالتالي ستنشأ المعاناة في هذا العالم.

وبعد الإشارة إلى المشتركات بين مدرسة (اليوغا) و(السماخيا)، حان الوقت لتسليط الضوء على الإضافات الخاصة بمدرسة (اليوغا) التي تميّزها عن مدرسة (السماخيا)؛ حيث ركزت مدرسة (اليوغا) على الجانب العملي لتحرّر الإنسان من المعاناة من خلال اتباع الطريق ذي الشعب الثمانية (أشتانجا يوغا Asthāṅga Yoga)، الذي يهتم بالسيطرة على النفس والانضباط الذهني، ويضم:

أ - مجموعة من الضوابط الأخلاقية (ياما Yama): وهي سلوكيات أخلاقية توجه السلوك الاجتماعي، مثل: اللاعنف، والصدق، وعدم السرقة، والعفة، والاعتدال الجنسي، وعدم التملّك.

ب - الممارسات الشخصية (نياما Niyama): وهي سلوكيات أخلاقية تتحكّم بالانضباط الشخصي، مثل: النظافة والرضا والتقشف، ودراسة الذات، والتفاني لقوة أعلى.

ج - الوضعيات (أسانا Asana): أوضاع جسدية تهدف إلى تعزيز الصحة البدنية وتهدئة الذهن وتحضير الجسد للتأمل.

د - التحكم بالتنفس (برانا ياما Pranayama): تنظم عملية التنفس الذي يساعد على تحضير الذهن للتركيز العالي.

هـ - الانسحاب الحسي (براتياهارا Pratyahara): الابتعاد والانفصال عن الواقع الخارجي الناشئ عن الحواس.

و - التركيز (دهارانا Dharana): هو تركيز الانتباه تجاه شيء واحد.

ز - التأمل (ديانا Dhayana): وهو حال متقدمة من الوعي، تنشأ من الاتصال والتركيز المستمر اتجاه شيء واحد.

ي - الاندماج (ساماداهي Samadhi): يعدّ الهدف النهائي لمدرسة اليوغا؛ حيث يصل الإنسان إلى مرحلة التحرر من خلال الاتحاد مع الشيء المتأمل فيه.

ومن الاختلافات المهمة بين مدرسة (السامخيا)، ومدرسة (اليوغا)، الاعتقاد بفكرة الإله أو الوجود الأعلى (إيشوارا Ishvara)، ويعدّ نوعاً من الوعي الخاص الذي لا يتأثر بالمعاناة ولا (الكارما)، ولا التقلبات الذهنية، وعلى الرغم من اعتقادهم بفكرة الإله إلا أنها تختلف عن فكرة الإله الخالق في الديانات التوحيدية التقليدية، فهو بمثابة النموذج والمرشد الأعلى لممارسي (اليوغا).

أما بالنسبة لمفهوم (الكارما)؛ فيؤدي مبدأ (الكارما) دوراً مهماً في فلسفة (اليوغا)؛ حيث تترك الأفعال (كارما) انطباعات (سامسكارا samskaras)، وميول كامنة (فاسانا vasanas) في العقل، وهي تؤثر على التجارب المستقبلية، وتستمر في دورة الولادة والموت (سامسارا samsara) وتوليد المعاناة؛ حيث تهدف مدرسة (اليوغا) إلى تنقية الذهن والتخلّص من ترسبات (الكارما) لمنع استمرار دورة الولادة والموت، عن طريق الممارسة المنضبطة والمستمرة، والعيش الأخلاقي، والتأمل الذهني.

2.1.3 (ميمامسا Mimāṃsā) (18)

تهتم مدرسة (الميمامسا) بالجوانب المتعلقة بالطقوس والتأويل في نصوص (الفيدا)، تحديداً في الأقسام الأولى والمعروفة بـ (سامهيتا Samhita)، و(البراهمانز Brahmanas)، فهي تهدف إلى تبيان أهمية الطقوس المذكورة في نصوص (الفيدا) للحفاظ على النظام الكوني واستمراره، وتطلق عليه (دارما dharma)، أو الواجب النقي، وبذلك تعتقد مدرسة (الميمامسا) بأن نصوص (الفيدا) أبدية، وغير مخلوقة، ومنزّهة عن الأخطاء، وتعدّ نصوص (الفيدا) أعلى سلطة، وهي كافية في تحديد كيف يجب أن يتصرف الإنسان ويعيش حياة فاضلة. أما فيما يخصّ الأنا؛ فتعتقد مدرسة (الميمامسا) بوجودها ولكنها لا تعدّها مبدأ أساسياً، ولا تولي لها اهتماماً ميثافيزيقياً، فالأنا هي مسؤولة عن صدور أفعال الإنسان وتحقيق (الكارما)، وبالتالي هي لا تعدّ تحرّر النفس أو الأنا من المعاناة شيئاً أساسياً في تعاليمها. أما فيما يخصّ فكرة الإله، فغالباً ما تُصنّف مدرسة (الميمامسا) بوصفها مدرسة لا أدرية أو إلحادية؛ حيث لا تعتقد بوجود إله يدير هذا الكون؛ لأن نصوص (الفيدا) كافية بحد ذاتها، وهي مصدر المعرفة كلّها في هذا الكون (19).

وفيما يخصّ اعتقادهم بمبدأ (الكارما)، فمدرسة (الميمامسا) تعتقد بضرورة هذا

المبدأ وأهميته؛ حيث إن مبدأ (الكارما) مرتبط بفكرة المعاناة، فتتولد المعاناة عند الإنسان والكون نتيجة أفعال الإنسان و(الكارما) الخاصة به سواء في هذه الحياة أم في الحياة المستقبلية؛ حيث إن (الكارما) والمعاناة تتحددان وتعتمدان اعتماداً أساسياً على اتباع الطقوس المذكورة في نصوص (الفيدا)، وتنفيذها، فتنشأ (الكارما) الإيجابية نتيجة اتباع الطقوس وتطبيقها في نصوص (الفيدا) والعكس صحيح، وتهدف (الكارما) الإيجابية إلى الحفاظ على النظام الكوني، وبالتالي هي لا تعتقد بأولية تحرر الإنسان من فكرة إعادة الولادة في الحياة الحالية أو المستقبلية، ولكن تراها بوصفها إحدى النتائج الممكنة والعارضة للـ(كارما) الإيجابية.

2.1.4 (فيدانتا Vedanta)

تعتمد (الفيدانتا) على الأجزاء الأخيرة من نصوص (الفيدا)، التي يطلق عليها (الأبانشاد)، وهذه الأجزاء تتميز بطابع فلسفي بخلاف الأقسام الأخرى في نصوص (الفيدا) الذي يطغى عليها الجانب الروحاني والطقوسي، وتهتم هذه الأقسام في فهم طبيعة الواقع، وتعتمد (الفيدانتا) على مبدأ رئيس في تعاليمها، وهذا المبدأ هو الاعتقاد بالـ(براهمان)؛ حيث يشكّل (البراهمان) الحقيقة المطلقة في التقليد (الفيدانتي)، وهو غير متغيّر، وأزلي وأبدي، وهو جوهر هذا الكون الخارجي. أما المبدأ الثاني فهو النفس (الأتمان)، وتعدّ المرادف للـ(براهمان)، ولكنه يمثل جوهر الإنسان الداخلي، ففي فلسفة (الفيدانتا) يشكّل كل من (البراهمان) و(الأتمان) وجهين لشيء واحد، ويعتبر هذا الفهم للواقع هو الوسيلة لتحرر من المعاناة، وتناول هاذين المبدأين في التقليد (الفيدانتي) أدى إلى ظهور مدارس عدّة، وتختلف هذه المدارس وفقاً لموقفها وشرحها للـ(أتمان) و(البراهمان) والعالم الخارجي وعلاقتهم مع بعضهم⁽²⁰⁾.

تنشأ المعاناة في تقليد (الفيدانتا) عن طريق الوهم الناشئ من الاعتقاد بتمايز كل من (الأتمان) و(البراهمان)، فهذا الوهم ينشأ عند الاعتقاد بوجود اختلاف حقيقي بين الأشياء، وهو يجعل الفرد يرى نفسه بأنه مختلف ومفارق للـ(براهمان)، وبدوره يؤدي الجهل إلى اعتقاد الإنسان بأهمية سعاداته الفردية، وبالتالي يسعى لتحقيق سعاداته هو فقط من غير الأخذ بالاعتبار سعادة باقي الكائنات والأفراد ومعاناتهم في الحسبان؛ مما ينشأ عنه التعلق بالأمر

المادية المؤقتة والزائلة، وبالتالي الشعور بالمعاناة عند فقدانها، فيتحقق التحرر في تقليد (الفيدانتا) عند رفع الوهم باختلاف (البراهمان) و(الأتمان).

تعدّ فكرة الإله (إيشوارا) أساسية في مدارس التقليد (الفيدانتي)، إلا أن كل مدرسة لها فهم خاص لطبيعة هذه الفكرة؛ حيث يعتمد فهم هذه المدارس على تفسيرها لعلاقة (الأتمان) و(البراهمان) والعالم الخارجي، فمدرسة (أدفايتا فيدانتا) ترى أن الإله أحد تجليات (البراهمان)، وله دور محدد ومؤقت، وبالتالي يعدّ الاعتقاد بأن الإله هو الحقيقة المطلقة من صور الوهم التي تؤدي إلى المعاناة. أما مدرسة (الفيشيشثادافيتا فيدانتا) فتعتقد بأن الخالق هو إله شخصي، ويطلق عليه (بنارايانا)، أو (فيشنو) ⁽²¹⁾ (Narayana Vishnu)، ويتميز بصفات إيجابية كالمحبة والرحمة، ويمثل روح هذا الكون، وهو متحد مع (البراهمان)، وبما أنه روح (البراهمان) فتقديسه يؤدي إلى تحرر الإنسان من المعاناة. أما في مدرسة (الدفافيتا فيدانتا) ف(البراهمان) هو (إيشوارا)، وهو متمايز تمامًا عن الأرواح الفردية ولا يتحد معها، وهو الخالق والحافظ والمدمر للكون، وجميع الكائنات تعتمد في وجودها واستمرارها على الإله، ولكي تتحرر النفس من العالم المادي يجب أن تعبد الإله وتخدمه وتسلم إليه. أما في مدرسة (البيداييدا فيدانتا)؛ فإن (البراهمان) و(الأتمان) متطابقان ومختلفان في آن واحد، ويطلق على (إيشوارا) (كرشنا)، وفي هذه المدرسة تشكّل عبادة الإله مبدأً أساسياً للتحرر عن طريق تحقيق الوحدة مع (كرشنا)، إلا أن وحدتهم مع (كرشنا) لا تعني الاستغناء عن هويتهم الفردية. أما في مدرسة (شودهادافيتا فيدانتا)، فالإله (كرشنا) هو تجلي للـ (براهمان)، والعالم المادي ليس وهمًا، بل هو جزء حقيقي من الإله، ويحقق الإنسان التحرر من خلال السعي للوحدة مع (كرشنا) عن طريق العبادة والتسليم الكامل. أما مدرسة (الفيدانتا) الجديدة، فهي تحاول التوفيق بين جميع المدارس المختلفة، والاعتقاد بأنه يمكن الوصول إلى (البراهمان) أو الإله عن طريق اتباع الطرق الدينية والتعبدية المختلفة، والمنصوص عليها في مدارس التقليد (الفيدانتي).

أما فيما يتعلّق بمبدأ (كارما) الأخلاقي؛ فهو أيضًا يختلف باختلاف المدارس المختلفة، وهذا الاختلاف ناشئ بسبب تعدد الآراء حول الذات و(البراهمان)، وفكرة الإله والعالم الخارجي، ورغم هذا التعدد إلا أن مبدأ (الكارما) الأخلاقي يعدّ من المبادئ الأساسية في التقليد (الفيدانتي)، وهو يشرح طريقة عمل المعاناة وعملية تكرار الميلاد، وتعتقد المدارس

التي تولي فكرة الإله اهتمامًا كبيرًا بأنه للحصول على (كارما) إيجابية، وللتحرر من إعادة الميلاد يجب اللجوء الخالص إلى الخالق، أما في المدارس التي لا تولي فكرة الخالق اهتمامًا كبيرًا، فتعتقد بأنه يمكن تحرر الإنسان من المعاناة عن طريق المعرفة، وترفع المعرفة الوهم الناشئ من الاعتقاد بتمايز (الأتمان) و(البراهمان)، ويصل الإنسان إلى مرحلة التحرر في التقليد (الفيدانتي) عن طريق التعبد المطلق للإله أو عن طريق المعرفة، أو عن الطريقتين معًا.

2.1.5 (فايشيشيكا Vaīśeṣika)

تعدّ مدرسة (الفايشيشيكا) من المدارس الذرية، التي تهتم بكيفية نشوء الكون وتكوّنه ميتافيزيقياً وأنطولوجياً⁽²²⁾، فهي تعتقد أن كل شي في العالم مكوّن من ذرات غير قابلة للانقسام، فالذرات أبدية وغير قابلة للتجزئة، وهي تتحد مع بعضها بطرائق مختلفة لتشكّل جميع المظاهر في العالم، وهناك أربعة أنواع أولية من الذرات: الأرض، والماء، والنار، والهواء. وهذه الذرات ترتبط مع بعضها بطرائق مختلفة لتشكّل تسع مواد مختلفة تعكس جميع المظاهر الكونية سواء كانت مادية كالأرض والماء والهواء والنار، أم غير مادية كالأثير، وهو الوسط اللازم لحدوث الصوت، والزمن، والذهن، والأنا (الأتمان).

ويظهر اهتمام مدرسة (الفايشيشيكا) في الميتافيزيقا والأنطولوجيا في تقسيمها للواقع إلى سبعة أقسام رئيسة (بادارثها Padārthas)، ومعرفة هذا التقسيم مهم لفهم الواقع والكون:

- 1 - المادة (درافيا Dravya): أساس العالم المادي.
- 2 - الخاصية (جوننا Guṇa): خواص الأشياء المادية، كاللون والرائحة،... إلخ.
- 3 - الفعل (كارما Karma): الأفعال المسؤولة عن الحركة والتحوّل والتغيير في العالم المادي.
- 4 - الكلية (سامانيا Sāmānya): هو المفهوم الذي يجمع مجموعة من الأفراد تحت عنوان معين، مثل: جميع البشر يصنفون تحت عنوان (البشرية).
- 5 - التفرد (فيشيشا Viśeṣa): هي الصفة الفردية التي تميز شيئاً عن باقي الأشياء⁽²³⁾.
- 6 - الاتحاد (سامافايا Samavāya): هي الصفة التي تربط الصفات المختلفة لشيء ما بعضها ببعض، كاللون البرتقالي الملازم لفاكهة البرتقالة.
- 7 - العدم (أبهافا Abhāva): وهو يصف الشيء غير الموجود أو الغائب عن مكان معين.

أما فيما يتعلق بالاعتقاد بالإله في (الفايشيشيكا)، فالمدارس القديمة تصنّف بأنها غير إلهية، بمعنى أنها لا ترفض أو تثبت قطعياً وجود الإله، وهذا سمح لبعض المدارس الحديثة في (الفايشيشيكا) بالإيمان بفكرة الإله (إيشوارا)، وهو عليم بمصلحة الكون⁽²⁴⁾، فيحافظ عليه وينظمه، وعلى الرغم من اعتقاد المدارس الحديثة بفكرة الإله، إلا أنها تؤكد على أهمية القوانين الطبيعية والخواص الجوهرية للذرات بكونها المسؤولة عن العالم المادي وغير المادي، والإله هو مجرد منظم لهذه الذرات، وليس خالقاً كما هو الحال في الديانات السماوية التقليدية.

وكذلك تعتقد (الفايشيشيكا) بوجود النفس (الأتمان)، ويعدّ من أهم المبادئ الأساسية في تعاليم هذه المدرسة، ويختلف مفهوم الأنا أو النفس عن باقي المدارس الهندية في أنه يعدّ إحدى المواد التسع الأساسية التي توجد مستقلة، وتشكل الواقع، فالنفس في مدرسة (الفايشيشيكا) غير مادية ولكنها واعية، وهذه النفس هي التي تجعل من عمليات الإدراك، والعاطفة والذاكرة والمسؤولية الأخلاقية ممكنة، وهذه النفس أزلية، وكل كائن له نفس مميزة وفريدة، وهذه النفس غير متغيرة في ذاتها، وأما التغييرات الحاصلة التي تنسب إلى النفس كالسعادة والمعاناة؛ فتنتج عن طريق تفاعل العقل والجسد مع الواقع الخارجي، وليس نتيجة تغيير في ذات أو جوهر (الأتمان).

أما فيما يتعلق بالـ (كارما)، فهو مرتبط بمفهوم (الأتمان)، ونظرة مدرسة (الفايشيشيكا) للواقع، والنفس عندهم هي المسؤولة عن الأفعال الجسدية والذهنية المسببة للـ (كارما)، فتؤمن مدرسة (الفايشيشيكا) بأن مبدأ (الكارما) أشبه بقانون طبيعي نتيجة النظرة الذرية⁽²⁵⁾، وكل فعل له نتائج إيجابية أو السلبية، فالأفعال الإيجابية تولّد (كارما) إيجابية وبالتالي تجربة إيجابية، والعكس صحيح؛ حيث ترتبط (الكارما) بـ (الأتمان) من خلال (السامافايا) التي تعني (الاتحاد)؛ أي أن نتائج أفعال الفرد متّحدة مع الذات حتى تحل، فتهدف تعاليم (الفايشيشيكا) إلى تحرير النفس من الوجود والارتباط المادي المسبب للمعاناة، والوصول إلى السلام عن طريق معرفة الذات وفهم طبيعة الواقع⁽²⁶⁾.

2.1.6 (نيايا Nyāya)

اشتهرت مدرسة (النيايا) باهتمامها بالمنطق و(الابستميلوجيا)، تأسست على يد (غاوتاما Gautama) في القرن الثاني قبل الميلاد⁽²⁷⁾، ونتيجة اهتمامها بالمنطق والمعرفة

فقد أسهمت إسهامًا كبيرًا في إنشاء إطار تحليلي منهجي للاستدلال والاحتجاج في الفكر الهندي قديمًا، وهذا المنهج أسهم في الإجابة عن العديد من الأسئلة التي تتعلق بالـ (ميتافيزيقا) والأخلاق واللاهوت على أساس استدلالِي.

ونتيجة اهتمام مدرسة (النيايا) بالمعرفة؛ حددت أربع وسائل للمعرفة: الوسيلة الأولى وهي الإدراك الحسّي (براتياشكا pratyakṣa)، وهي المعرفة الناتجة من التجربة الحسّية المباشرة، والوسيلة الثانية هي الملاحظة (أنوما anumāna)، وهي المعرفة الناتجة عن طريق الاستدلال المنطقي، والوسيلة الثالثة هي المقارنة (أوبامانا upamāna)، وهي تنتج عن طريق القياس والتشبيه بين أمرين للوصول إلى نقاط التشابه، ومن ثم الحصول على حكم مشابه لموضوع مختلف، والوسيلة الأخيرة هي الشهادة اللفظية (śabda)، وهي المعرفة الناتجة من النصوص أو الحكماء، وهي ذات سلطة ومرجعية موثوقة.

هذه الوسائل المعرفية هي وسائل للحصول على الحقيقة حول النفس والإله والعالم الخارجي في مدرسة (النيايا)، وهذا ما يميز مدرسة (النيايا)، فهي قائمة على إطار نظري يعتمد على الاستدلال، وهذا الإطار النظري هو الذي يشكّل الأساس لواقع الإنسان العملي في الحياة، ومن المهم أن نذكر أن جميع أنواع المعرفة أساسية ومهمة في الحصول على المعرفة الحقيقية، إلا أن النوع الأخير من المعرفة وهو المعرفة/الشهادة اللفظية تتمايز عن غيرها من الأنواع؛ لأنها تختص بالمواضيع (الميتافيزيقية) التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق باقي وسائل المعرفة التي تعتمد على الحواس اعتمادًا أساسيًا، ومن المهم أن نذكر بأن (الميتافيزيقيا) تؤدي دورًا محوريًا في مدرسة (النيايا)، وتتبع مدرسة (النيايا) تقسيم مدرسة (فايشيشيكا) للواقع إلى سبعة أقسام: (درافيا)، وتعني المادة، و(جوننا)، وتعني الخاصة، و(كارما) وتعني الفعل، و(سامانيا)، وتعني الكلية، و(فيشيشا)، وتعني التفرد، و(سامافايا)، وتعني الاتحاد، و(أبهافا)، وتعني العدم. وتكمن أهمية فهم الإطار (الميتافيزيقي) للواقع في إيصال الفرد إلى المعرفة الحقيقية، وبالتالي التحرر من دورة الولادة والموت، والمعاناة في هذا الكون.

أما فيما يتعلق بفكرة الإله (إيشوارا)، فتعتقد مدرسة (النيايا) بهذه الفكرة إلا أن مؤسس مدرسة (النيايا) (أكشابادا غاوتاما) لم يولها اهتمامًا كبيرًا في نص (سوترات نيايا)، وبرز اهتمام مدرسة (النيايا) في فكرة الإله فيما بعد، وخصوصًا على يد المفكر الهندي (أوداينا

(Udyana) في القرن العاشر الميلادي؛ حيث اعتمد على أربع حجج عقلية، وحجة نصية في إثبات وجود الإله، والحجج العقلية هي الحجة الكونية، والحجة الأخلاقية، والحجة الغائية، والحجة السببية، ويعتقد المفكر الهندي (أودايانا) بأن الإله أبدي، وهو السبب الكافي لخلق الكون، ولا يتدخل في أفعال الإنسان والكون، بل هو المنظم والضامن لسير قوانين الكون؛ ولذلك يطلق عليه الحاكم الأخلاقي، وهو الضامن لعدالة مبدأ (الكارما) ونتائج أفعال الأفراد، وكذلك يعتقد أصحاب مدرسة (النيايا) بأن التوسل بد (إيشوارا) عمل إضافي ويساعد في رفع الجهل والمعاناة، وبالتالي تحقيق (كارما) إيجابية.

أما فيما يتعلق بالنفس (الأتمان)، فتعتقد مدرسة (النيايا) بأنها شيء أساسي لفهم الواقع والإطار (المتافيزيقي) لمبادئها والوعي والهوية الفردية، وبالتالي تفسير المسؤولية الأخلاقية، وهي أبدية وأزلية بمعنى أنها لا تخضع لمبدأ الحياة والموت، وثابتة، وهي غير مادية ومسؤولة عن عمليات الإدراك والفعل والتجربة، وبذلك ستكون هي مصدر الشعور بالسعادة والألم، ولأنها مصدر أفعال الإنسان؛ فهي التي تنتج (كارما) إيجابية أو سلبية؛ حيث ينتج الفرد (كارما) إيجابية، ويتخلص من دورة الولادة والموت عن طريق المعرفة الحقيقية بالنفس، وإدراك أنها ثابتة ومستقلة عن العالم المادي، وبالتالي التعامل معها على هذا الأساس⁽²⁸⁾.

2.2.0 المدارس التجديدية

2.2.1 (الآجيفيكا Ajvikism)

نشأت مدرسة (الآجيفيكا) على يد المفكر (ماكهالي غوسالا Makkhali Gosala) بوصفها ديانة بجانب (الجانية) والبوذية في بداية القرن السادس قبل الميلاد، إلا أنها اندثرت تدريجياً مع مرور الزمن بعد نحو ألفي عام من بداية ظهورها⁽²⁹⁾، حتى أصبح ليس لها أتباع في عالمنا المعاصر، وتعدّ مدرسة (الآجيفيكا) من المدارس الهندية المادية، وبذلك هي تتخلى عن فكرة الإيمان بالإله أو وجود مبدأ (ميتافيزيقي) يحكم هذا العالم كـ (البراهمان)؛ حيث يصنفها العديد من المفكرين بوصفها مدرسة إلحادية، وعلى الرغم من نظرتها المادية إلى العالم إلا أنها كانت تولي اهتماماً كبيراً للأفعال الزهدية الصارمة، كالصوم الطويل، وعدم تملك شيء، والانضباط الذاتي، وهدف هذه الأعمال الزهدية لا يرتبط بمفهوم (الكارما)، بل بالتناغم مع القوانين الطبيعية التي تحكم هذا الكون⁽³⁰⁾.

واشتهرت مدرسة (الآجيفيكا) بمبدأ أساسي وهو إيمانها بالاحتمية المطلقة (Niyati)⁽³¹⁾، وهذا المبدأ أثر على اعتقادها بـ (الأتمان) ومبدأ (الكارما)، فمدرسة (الآجيفيكا) تؤمن بوجود النفس غير المتغيرة والأزلية، وهذه النفس خاضعة لدورة إعادة الميلاد والموت المتعارف عليها في الحضارة الهندية، إلا أنها تختلف عن باقي المدارس الهندية في عدم ارتباطها أو اعتمادها على مبدأ (الكارما)، فالنفس تمرّ عبر عدد معين من إعادة الميلاد والموت محدد مسبقاً وفقاً للقوانين الكونية والاحتمية المطلقة، فتتحرر النفس من المعاناة عندما تكمل العدد المحدد مسبقاً دورة إعادة الميلاد والموت؛ أي أن الإنسان سيتحرر من المعاناة في نهاية المطاف حتماً.

فكل أفعال الإنسان مقدّرة وخاضعة لقوانين وخطة كونية مسبقة في مدرسة (الآجيفيكا)، وهذه القوانين ثابتة وغير متغيّرة، فالإنسان لا يملك إرادة حرة، ولا يستطيع الهروب من قدره الحتمي؛ أي أن قدر الإنسان لا يعتمد على نتائج أعمال الإنسان كما ينصّ عليه مبدأ (الكارما)؛ ولذلك تعدّ مدرسة (الآجيفيكا) المدرسة الهندية الوحيدة التي لا تؤمن بمبدأ (الكارما).

2.2.2 (الشارفاكا Charvaka)⁽³²⁾

تعدّ مدرسة (الشارفاكا) المثال الأشهر للمنهج المادي في الفكر الهندي⁽³³⁾؛ حيث أولت مبحث المعرفة أهمية كبرى، وهذا انعكس بطبيعة الحال على الإيمان بباقي المبادئ كـ (الأتمان) وفكرة الإله و(الكارما)، وتعدّ التجربة الحسية هي الوسيلة المعرفية الوحيدة للوصول للحقيقة، ورفضت الوسائل الأخرى كالمقارنة، والاستدلال بحجة أن هذه الوسائل قد تقود إلى نتائج غير صحيحة لعدم استنادها على الملاحظة المباشرة.

أما فيما يتعلّق بالعالم فهو مادي، وكل شيء غير مادي غير موجود، وهذا يشمل فكرة الإله، فالعالم مادي تحكمه قوانين الطبيعة، والإنسان يتكوّن من أربعة عناصر مادية: الأرض، والماء، والنار، والهواء، وترتبط هذه العناصر مع بعضها لتنتج المظاهر المادية المختلفة التي تشكل الوعي أيضاً، ويموت الوعي مع موت الجسد، ونتيجة لمنهجهم المادي؛ فهم لا يؤمنون بوجود المبادئ (الميتافيزيقية) كـ (الأتمان) والإله.

أما فيما يتعلّق بالجانب الأخلاقي الذي يرتبط بمبدأ (الكارما)؛ فيعدّ مذهب اللذة (hedonistic) المذهب الأخلاقي الذي يؤدّي إلى السعادة، وهذا يعود لمنهجهم المادي البحت، الذي ينتقدون به الممارسات الزهدية التي تحرم الإنسان من التمتع بالحياة، ويعدّ فعل الإنسان خيراً عند بحثه عن تحقيق المتعة، وتجنب الألم؛ لأنهم لا يؤمنون بوجود الحياة بعد الموت وفكرة إعادة الميلاد والموت، وهذا بدوره أدّى إلى نكران فكرة التحرر من المعاناة ومبدأ (الكارما) الأخلاقية الذي يعتمد على فكرة إعادة الميلاد والموت المتعارف عليها في الفكر الهندي.

2.2.3 (الجانية Jainism)

تؤمن (الجانية) بأنها أزلية؛ أي أنها نشأت منذ الأزل، وأن هناك 24 معلماً روحياً تحرروا من المعاناة، ويرشدون الناس لتحقيق التحرر من المعاناة، ويعدّ (ريشابهاناثا Rishabhanatha) المعلم الروحي الأول الذي أنشأ هذه المدرسة منذ الأزل، ويعدّ (ماهافيرا Mahavira) آخر معلم روحي، وتستمد (الجانية) تعاليمها الأساسية من (الأجاماس Agamas)، وهي نصوص مختلفة للمعلمين الروحيين، مع التركيز أكثر على نصوص (ماهافيرا) التي تعود إلى القرن السادس قبل الميلاد، ويعدّ مؤسس (الجانية) بوصفها منظومة دينية وفق مجموعة من المبادئ المختلفة المرتبطة مع بعضها، ومن أهم هذه المبادئ مبدأ ثنائية الوجود، ومبدأ اللاعنف (Ahimsa)، ومبدأ عدم التعلق (Aparigraha)، ومبدأ تعدد الحقيقة (Anekantavada).

ولنفهم نظرة المدرسة (الجانية) لمبدأ (الكارما) لا بد أن نتناول مبدأ ثنائية الوجود، الذي يمثل نظرتهم (المتافيزيقية) للعالم؛ حيث تعتقد المدرسة (الجانية) بانقسام الوجود إلى الأشياء الحية (Jīva)، والأشياء غير الحية (Ajīva)، وتضم المجموعة الأولى كل روح لها قدرة على الشعور بالمعاناة والوعي والنفس، أما المجموعة الثانية فتضم كل شيء ليس له قدرة على الإحساس والوعي، كالمادة والزمن والحركة، وهاتان المجموعتان تتفاعلان مع بعضهما وتؤديان إلى تكوين نتائج وفقاً لمبدأ (الكارما).

ونتيجة لهذا التقسيم (المتافيزيقي) الثنائي للوجود إلى أشياء حية وأشياء غير حية؛ لا تعتقد (الجانية) بوجود خالق مدبر لهذا الكون، فالكون عندهم أزلي وأبدي، ويسير

وفقاً لقوانينه الخاصة به، فهو ليس بحاجة للخالق، إلا أنها تؤمن بوجود (الأتمان)، وهذه (الأتمان)/ النفس هي أبدية وأزلية في حالتها الأصلية النقية، فلا تفنى، وكل (أتمان) هي فريدة، و تنتمي إلى مجموعة الأشياء الحية، وهي غير متصلة بالعالم المادي، ولكن نتيجة لارتباطها بـ (الكارما) السلبية التي تنتج عن طريق الارتباط بالعالم المادي؛ تصبح (الأتمان) غير نقية، وتبدأ معاناة هذه الروح. وهذه الفكرة أدت إلى ظهور مبادئ وتعاليم أخلاقية عدّة، كمبدأ اللاعنف، ومبدأ عدم التعلّق أو الزهد؛ حيث تعتقد (الجانية) بأنه يجب عدم إيذاء أي شيء ينتمي إلى مجموعة الأشياء الحية لفظاً أو فعلاً، حتى أبسط المخلوقات وأصغرها كالمخلوقات المجهرية؛ ولذلك تعدّ (الجانية) من المدارس الأولى في التاريخ الإنساني التي دعت إلى ما يعرف بالسلوك النباتي في عالمنا المعاصر، وكذلك من المدارس الأولى في الحضارات الإنسانية التي اهتمت بالأخلاق البيئية.

وأدى هذا التقسيم (الميتافيزيقي) إلى مبدأ عدم التعلّق بالماديات، فالتعلّق بالماديات هو مصدر الرذائل الأخلاقية، كالعجب والتكبر والطمع والغضب، وكل ذلك يؤدي في نهاية المطاف إلى تكوين (كارما) سلبية، وقد أدى مبدأ عدم التعلّق إلى تشريع أفعال زهدية صارمة، فعلى سبيل المثال: يجب على الرهبان في مدرسة (الجانية) عدم إلحاق الأذى بأي كائن على الإطلاق، والعمل بالصدق قولاً وفعلاً فقط، وعدم أخذ أي شيء إذا لم يُعطَ طواعيةً، والابتعاد عن كل أنواع العلاقات الجنسية، وعدم تملّك أي شيء مطلقاً، وهذه التعاليم الزهدية يجب اتّباعها من عوام الناس أيضاً، إلا أن درجتها تختلف باختلاف طبيعة حياة الأشخاص وظروفهم.

ومن النتائج أيضاً على النظرة (الميتافيزيقيّة) للوجود؛ ترى المدرسة (الجانية) بتعدد الحقيقة؛ حيث كل روح أو (أتمان) ترى الحقيقة من زاوية خاصّة بها، وقد لا تتوافق مع الأشخاص الآخرين، وهذا الأمر يتّسق مع مبدأ عدم التملّك، ولا يوجد إنسان يمتلك الحقيقة المطلقة، وسيؤدي اتّباع هذا المبدأ إلى نشر روح التسامح بين الأفراد والكائنات الأخرى التي تشاركنا هذا العالم.

هذه التعاليم والمبادئ شكّلت نظرة المدرسة (الجانية) لمبدأ (الكارما)؛ حيث تعتقد بأن مبدأ (الكارما) هو مبدأ ميكانيكي ومادي، وهو من قوانين هذا الكون، وترتبط

(الأتمان) بـ (الكارما) ارتباطاً مادياً مادياً، فعندما يتعلق الإنسان بالماديات ستنشأ جزئيات مادية من (الكارما)، وهذه الجزئيات غير مرئية إلا أنها تؤثر على الأفعال والصفات الشخصية للإنسان تأثيراً سلبياً في المستقبل، وستسبب بالمعاناة ودورة الميلاد والموت؛ لذلك تعتقد (الجانية) بضرورة التخلص من هذه الجزئيات و(الكارما) عن طريق الالتزام بالمبادئ الأخلاقية التي سبق ذكرها حتى ترجع (الأتمان) إلى الحال الأصلية والنقية، وتحرر من الشوائب المادية كلها.

2.2.4 (البوذية Buddhism)

تعدّ البوذية إحدى المدارس الفلسفية والديانات الهندية المهمة في عالمنا الحالي، وهي تتميز عن باقي المدارس الهندية في اعتمادها كثيراً على الفلسفة والتفكير العقلي، حتى صنّفها بعض المفكرين على أنها فلسفة أخلاقية أو طريقة عملية للحياة وليست ديناً، بمعنى أنه يمكن لمعتنقي الديانات الأخرى - وخصوصاً السماوية - أن يتبعوا التعاليم الأخلاقية للفكر البوذي من غير اتّباعه بوصفه ديناً للتعبّد⁽³⁴⁾، وهذا الأمر أعطى هذه المدرسة قدرة على التكيف مع تعاليم العالم وثقافته المختلفة؛ حيث أصبحت البوذية تنتشر وتستمر كثيراً عبر العالم، فنجد أن البوذية في اليابان -مثلاً- تختلف عن البوذية في الهند في بعض الأمور.

تتمايز البوذية عن باقي المدارس في الهند في نظرتها تجاه فكرة وجود الإله والنفس ومبدأ (الكارما) الأخلاقي؛ حيث ترفض البوذية فكرة وجود إله خالق أو مدبر أو حارس للقوانين الطبيعية في الكون، ولكنها تؤمن في وجود كائنات سماوية (devas)، إلا أن هذه الكائنات لا تتحكّم في الكون، وهي غير أبدية، وينطبق عليها ما ينطبق على باقي الكائنات، لذلك يصنفها بعضهم على أنها ديانة إحدانية⁽³⁵⁾، وهذا الأمر أدّى إلى الاعتقاد بأن مبدأ (الكارما) هو مبدأ طبيعي خاضع للسببية، فلكل فعل سبب ونتيجة ما، وهذا المبدأ هو الذي يحكم المعاناة ودورة إعادة الميلاد والموت.

أما فيما يتعلق باعتقاد المدرسة البوذية بوجود النفس (الأتمان)؛ فهو من الأمور المهمة التي ميّزت الفكر البوذي تمييزاً كبيراً عن باقي المدارس الفلسفية والدينية في التراث الهندي؛ حيث تعتقد البوذية بمبدأ اللانفس (anatta)، أي أنه لا وجود لفكرة (الأتمان)/

النفس، والاعتقاد بوجودها هو من الأوهام التي تسبب وتجلب العناء للإنسان، فالإنسان عبارة عن خمس مجموعات مترابطة مؤقتًا (Skandhas): الشكل (rupa)، والحواس (vedana)، والإدراك (sanna)، والتركيبات الذهنية (sankhara)، والوعي (vinnana).

عندما يعتقد الإنسان بوجود (أتمان) دائمة سيسعى لإرضائها وسعادتها باستمرار، وهذا سيسبب الحزن والغضب؛ حيث ستجد الإنسان يسعى دائمًا للحصول على المال والشهرة وكأن نفسه/ (الأتمان) خالدة، فسيتملّق بهذه الأمور المادية، وعندما يفقدها أو يفقد جزءًا منها سيغضب ويحزن، وهذا سيؤدي إلى معاناة الإنسان، بينما عندما يزيل الإنسان وَهْمَ ديمومة النفس/ (الأتمان)، ويدرك حقيقة أن ذاته/ نفسه فانية، لن يصيبه الحزن والغضب عند فقدان هذه الأمور.

ومن الأمور الإيجابية المترتبة على الإيمان بمبدأ اللانفس؛ هو عدم التفكير بأنانية اتجاه شركائنا في الكون من الكائنات الحية الأخرى؛ حيث إنه عندما يعتقد الإنسان بوجود ذاته/ نفسه، سيسعى لإسعادها وإرضائها؛ لأنه يفكر بوجود الأنا الخاصة به، وفي الوقت نفسه سيسعى لرفع معاناته فقط، ولكن عندما يزيل الإنسان وهم وجود الذات سيعيش بترباط مع باقي الكائنات، فبدلاً من التفكير بوجود سعادة ومعاناة خاصة بذاتي، ستكون هناك سعادة ومعاناة عند الجميع، وبالتالي سيسعى الإنسان لرفع المعاناة والتسبب بالسعادة للجميع، ونتيجة لهذا المبدأ الذي يجعلنا نتشارك جميعاً في مسؤولية رفع المعاناة عن الجميع، اهتمت البوذية بحقوق الحيوان والأخلاق البيئية، وهذا الاهتمام أدى إلى زيادة انتشار البوذية بكونها ثقافة في عالمنا المعاصر وفي العالم الغربي نتيجة توافق هذه الاهتمامات مع اهتمامات العالم المعاصر وتحدياته في محاربته للظواهر البيئية الخطيرة التي تهدد مستقبل البشرية.

حان الوقت للانتقال إلى مبدأ (الكارما)، فالبوذية تعتقد -كما أشرنا- بمشاركة الجميع في المعاناة؛ لذلك هي تتشارك مع باقي المدارس الهندية في هدفها للتحرر من المعاناة، ويقاف دائرة الميلاد والموت، ويصل الإنسان إلى مرحلة التحرر (nirvana) عندما يزيل أسباب المعاناة، وهي الغضب والكراهية والطمع بالتملّق بالأمور المادية، والناشئ نتيجة الوهم باعتقاد أنه توجد (أتمان) دائمة وذاتية وفردية؛ أي أن إزالة الوهم سيتسبب بـ(كارما) إيجابية، وبالتالي التخلّص من المعاناة⁽³⁶⁾.

الخاتمة

تناولنا في هذا البحث التطور الفلسفي لمفهوم (الكارما) في الحضارة الهندية، وهو مفهوم أساسي لفهم الفكر الديني والفلسفي لهذه الحضارة، وعرضنا الأبعاد الأخلاقية و(الميتافيزيقية) للمدارس الهندية المختلفة؛ لفهم مبدأ (الكارما) عبر تلك المدارس وتحليله، فبدأ البحث بتوضيح التحديات التي تواجه دراسة الفلسفة الشرقية، بما في ذلك ندرة المصادر المباشرة وصعوبات الترجمة، وضخامة التراث الهندي. ومن ثم تناول نشأة هذا المفهوم من خلال تناول ثلاثة اتجاهات مختلفة حول نشأة مفهوم (الكارما)، فهناك من يرى أن (الكارما) تطورت من مفهوم إعادة الولادة -الشائع عالمياً- مع إضافة بُعد أخلاقي، وهناك من يرى أن ظهور (الكارما) مرتبط بالتطور القانوني في الهند القديمة، وعُززت بوصفها فكرة لضمان العدالة الأخلاقية، وأخيراً هناك من يدمج بين الرؤيتين، مع التركيز على التحوّلات الاقتصادية، مثل نشأة الأنظمة النقدية، التي عززت مفهوم المسؤولية الأخلاقية. وبعد الانتهاء من التحديات ونشأة مبدأ (الكارما)؛ يقدم البحث تحليلاً عميقاً لكيفية تناول هذه المدارس لمبدأ (الكارما) في المدارس الأصولية والتجديدية في الحضارة الهندية، وفقاً لثلاثة جوانب أساسية شكّلت أهم مبادئ هذه المدارس (الميتافيزيقية) والأخلاقية، كوجود النفس (الأتمان)، ووجود الإله (إيشوارا).

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على مبدأ (الكارما) بوصفه أحد المفاهيم الأخلاقية والفلسفية الأساسية في الحضارة الهندية، الذي يسهم في فهم تطور الفلسفة الشرقية عموماً؛ حيث إن هذه الأفكار والمبادئ وتربطها وتعددها ومناهجها تدل بوضوح على عمق الفلسفة الشرقية ووجودها في الهند، فهو رد على كل ادعاء قائل بأن الشرق لم ينتج أي نتاج فلسفي، وأن الفلسفة بدأت ونشأت عند اليونان، كما يوضح البحث كيفية ارتباط (الكارما) بالنظم الأخلاقية والقانونية في تلك الحضارة، فضلاً عن أن البحث يعدّ مصدرًا مهمًا للمهتمين بالفلسفة الهندية والفلسفة المقارنة؛ إذ يقدم قراءة معمّقة ومنهجية لمبادئ المدارس الهندية المختلفة، وهو بذلك يعالج نقص الدراسات المتعلقة بالفلسفة الشرقية في المكتبات العربية.

الهوامش والمراجع

- (1) Kyabgon, Traleg. *Karma: What It is, Why it isn't, Why it Matters*. Shambhala: Boston & London, 2015, p.3.
- (2) على سبيل المثال: لا توجد أي جامعة في الولايات المتحدة الأمريكية تقدم مقررات في مرحلة الدراسات العليا تتناول الفلسفات الشرقية باستثناء جامعة واحدة، وهي جامعة (هاواي) لموقعها الجغرافي القريب من قارة آسيا.
- (3) يرجع أصل كلمة (كارما) إلى الجذر (كري) (Kri) في اللغة السنسكريتية، الذي يعني "أن يفعل / يعمل"، وتطور معناها مع مرور الزمن في السياق الثقافي والفلسفي الهندي مبدأ "السبب والنتيجة"، أي أن كل فعل مقصود يؤدي إلى عواقب في حياة الإنسان الحالية أو المستقبل.
- (4) "Rebirth." Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/rebirth>. Accessed 30 Jul. 2024.
- (5) "Karma." Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/karma>. Accessed 30 Jul. 2024.
- (6) Qtd. in Huxley, Aldous. *The Perennial Philosophy*. Collins, 1958, p. 27.
- (7) Qtd. in Bodewitz, Henk. "The Hindu Doctrine of Transmigration: Its Origin and Background." *Vedic Cosmology and Ethics*, 15 May 2019, pp. 3–19, doi:10.1163/9789004400139_002, p. 3.
- (8) Obeyesekere, Gananath. *Imagining Karma: Ethical Transformation in Amerindian, Buddhist, and Greek Rebirth*. University of California Press, 2002, p. 17, 75.
- (9) Seaford, Richard. "Money, Reincarnation, and Karma." *Spielräume des Denkens. Festschrift zu Ehren von Karl-Heinz Brodbeck* (Scopes of Thought. Festschrift in Honor of Karl-Heinz Brodbeck.), edited by Silja Graupe, Walter Otto Ötsch, and Florian Rommel, Metropolis, 2019, pp. 479-501.
- (10) Bernstein, Alan E., and Paul R. Katz. "The Rise of Postmortem Retribution in China and the West." *The Medieval History Journal*, vol. 13, no. 2, 2010, pp. 199-257, p. 243.
- (11) للمزيد من المعلومات حول تاريخ ظهور النظام القانوني والكتابة في الحضارة الهندية، انظر: Olivelle, Patrick, ed. *Yajñavalkya: A Treatise on Dharma*. Cambridge (MA) and London: Harvard University Press, 2019.
- (12) "Money, Reincarnation, and Karma." p. 498.
- (13) جميع المصطلحات الواردة باللغة الأجنبية من هذا السطر حتى نهاية البحث ستكون باللغة السنسكريتية وليست الإنجليزية، والهدف من هذا الأمر هو المحاولة قدر الإمكان بعدم إضافة أو تحريف المصطلحات عن المعنى الخاص بسياقها.
- (14) (الفيدا): مجموعة من النصوص الدينية الهندية القديمة المكتوبة باللغة السنسكريتية، وتُعدُّ أقدم نصوص الديانة الهندوسية، وتتضمن (الفيدا) مجموعة من الأناشيد والصلوات والطقوس والمناقشات الفلسفية التي تركت أثرًا عميقًا في الفكر الديني والفلسفي الهندي، وتنقسم (الفيدا) إلى أربع مجموعات رئيسية، وتتركز كل مجموعة على موضوع خاص بها، مثل: علم الكون، واللاهوت، والتعاليم الدينية.
- (15) يُعدُّ (الأبانشاد) امتدادًا للأفكار الواردة في نصوص (الفيدا) وتطويرًا لها، وغالبًا ما تُفسَّر كلمة (أوبانشاد) بمعنى "الجلوس قريبًا"، أو "الجلوس عند أقدام المعلم"، في إشارة إلى تقليد تعلم هذه المعارف العميقة مباشرةً من حكيم أو معلم روحي، وتتناول (الأوبانشاد) موضوعات جوهرية مثل طبيعة الذات (الأتمان)، وحقيقة الوجود الكوني أو الروح المطلقة (البراهمن)، وكيفية ارتباط الذات الفردية بالروح الكونية، وكذلك تناقش مبادئ محورية كـ (الكارما) و(السامسارا)، والوحدة بين الكائنات، وتُعدُّ نصوص (الأبانشاد) من الأسباب الأساسية لتشكيل المدارس الهندية المختلفة وتطورها فيما بعد.

- (16) تترجم كلمة (نيايا Nyaya) عادةً إلى "المنطق"، أو "التفكير العقلاني"، وتترجم كلمة (فايشيشيكا Vaisesika) إلى "الفلسفة التفصيلية/ الذرية"، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية (viśeṣa) وتعني "الخصوصية"، أو "التفرد"، أما كلمة (سامخيا Samkhya)، فتعني "الإحصاء"، أو "العَدَّ"، وتترجم كلمة (اليوغا Yoga) عادةً إلى "الاتحاد"، أو "التكامل"، أو "الانضباط"، وهي مشتقة من كلمة (يوج yuj) في اللغة السنسكريتية، وتعني: "يربط/ يوحد/ يضم"، أما كلمة (ميمامسا Mimamsa)، فتعني حرفياً "التحقيق"، أو "التأمل"، أو "البحث النقدي"، وتترجم كلمة (فيدانتا Vedanta) عادةً إلى "نهاية (الفيدا)"، في إشارة إلى الجزء الأخير من نصوص (الفيدا).
- (17) يستخدم مصطلح (أتمان Ātman) في التراث الهندي للإشارة إلى النفس والأنا والذات.
- (18) تعني كلمة (ميمامسا) حرفياً "التحقيق" أو "التأمل"، أو "البحث النقدي" للإشارة إلى تفسير الطقوس والنصوص (الفيديّة) باستخدام البحث المنهجي والتفسير النقدي.
- (19) على الرغم من أن التعاليم الأساسية والتقليدية لمدرسة (الميمامسا) لا تؤمن بوجود فكرة الخالق؛ إلا أن بعض الاتجاهات الفرعية الحديثة مثل مدرسة (البريهاكارا Prabhākara)، و(الكوماريلابهااتا Kumārīlabhaṭṭa) لا ترفض فكرة وجود خالق مطلقاً، إلا أنها لا توليها أهمية أساسية في تعاليمها مقارنة باهتمامها بالطقوس.
- (20) من المدارس المشهورة في فكر (الفيدانتا): (أدفايتا فيدانتا Advaita Vedanta)، التي أسسها (أدي شانكارا) في القرن الثامن الميلادي، ومدرسة (فيشيشنادفايتا Viśiṣṭadvaita)، وأسسها (رامانوجا) في القرن الحادي عشر الميلادي، ومدرسة (دفايتا Dvaita)، وأسسها (مادهافا) في القرن الثالث عشر الميلادي، ومدرسة (بيداييدا Bhedabheda)، ويرجع تأسيسها إلى كل من (بهاسكارا) في القرنين: الثامن والتاسع الميلادي، و(نينباركا) في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ومدرسة (شودهادفايتا Śuddhadvaita)، وأسسها (فالابها) في القرن الخامس عشر الميلادي.
- (21) على الرغم من استخدام مصطلحين مختلفين (بنارايانا)، و(فيشنو)، إلا أن كليهما يشير إلى الإله الذي يحفظ الكون من الفوضى، وهما تسميتان لجوهر إلهي واحد.
- (22) تأسست مدرسة (الفايشيشيكا) على يد الفيلسوف الهندي (كانادا Kaṇāda)، ويعكس اسمه أهم مبادئ مدرسته؛ حيث يعني الشق الأول (كان) من اسمه (ذرة)، أو (جسيم)، أما (آد) الشق الثاني فيعني (آكل)، أو (مستهلك) في اللغة السنسكريتية، فيترجم اسمه إلى (آكل أو رائي الذرات)، ويعدّ مؤسس نظرية الذرات في الفكر الهندي القديم.
- (23) Radhakrishnan, Sarvepalli, and Charles A. Moore, editors. *A Source Book in Indian Philosophy*. Princeton University Press, 1957, p. 386.
- (24) تظهر فكرة الإله في (الفايشيشيكا) بوضوح لاحقاً بعدما اندمجت مع مدرسة (النيايا) تحت اسم مدرسة (الفايشيشيكا-النيايا)؛ حيث أضافت تعاليم كل من الفلاسفة (أودايانا)، و(فاتسيانانا) من مدرسة (النيايا) بعداً (ثيولوجياً) على تعاليم (الفايشيشيكا)، وكانت حججهم مبنية على المنطق الذي يرى بأهمية وجود الخالق الذي يضمن سير النظام الكوني والأخلاقي على أكمل وجه، وهذا الدمج أدى إلى ظهور مدرسة (النيايا الجديدة Navaya Nyaya) في القرن الثاني عشر الميلادي التي اعتمدت على المنطق أكثر في تعاليمها مع الحفاظ على البعد (الثيولوجي) الخاص بفكرة وجود الإله المنظم والضامن للعدالة الأخلاقية.
- (25) تعتقد بعض المدارس الحديثة في (الفايشيشيكا) التي تؤمن بوجود فكرة الإله (الإشوارا)، بأن الإله هو المسؤول عن قانون (الكارما)، وهو الضامن لتحقيق العدالة ضمناً كاملاً من خلال هذا المبدأ الأخلاقي.
- (26) للمزيد من المعلومات حول علاقة مبدأ (الكارما)، والنفس، وفهم الواقع في مدرسة (الفايشيشيكا)، انظر: Kaṇāda. *Vaiśeṣika Sūtras of Kaṇāda*. Translated by Nandalal Sinha, 1st ed., Motilal Banarsidass, 1911 (reprint 1986).
- (27) كذلك يطلق على (غاوتاما) اسم (أكشابادا Akṣapāda)، وتعتمد مدرسة (النيايا) في تعاليمها على نصوص (سوترات نيايا Nyāya Sūtras)، التي امتد جمعها من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد.

- (28) Gautama. *The Nyāya Sūtras of Gautama*. Translated by Ganganath Jha, Motilal Banarsidass, 1984 (reprint).
- (29) Bronkhorst, Johannes. *Karma*. University of Hawaii Press, 2011, p. 21.
- (30) *Karma*, p. 21-23.
- (31) أثارت المدرسة (الجايانية) و(البوذية) العديد من الانتقادات والتساؤلات لمبدأ الحتمية المطلقة، والنتائج المترتبة عليه في مدرسة (الآجيفيكا)، وهذه التساؤلات والانتقادات دفعت العديد من أتباع مدرسة (الآجيفيكا) لتركها واتباع (الجايانية) و(البوذية).
- (32) يطلق عليها أيضًا (مدرسة لوكايانا Lokāyata).
- (33) تعدّ نصوص (Bārhaspatya sutras) هي النصوص الأساسية لمبادئ مدرسة (الشارفاكا)، إلا أن جميع هذه النصوص فقدت باستثناء بعض الفقرات التي أعيد نشرها فيما بعد على يد المفكر الهندي (داكشينارانجان شاستري Dakshinaranjan Shastri) في القرن العشرين، ومعظم هذه الفقرات مأخوذة من نصوص منتقدي هذه المدرسة.
- (34) من الفلاسفة الذين يعتقدون بأن البوذية هي رسالة أخلاقية صالحة للجميع هو (داميان كيون Damien Keown)؛ حيث يقول: "البوذية هي استجابة لما يُعدّ في جوهره مشكلة أخلاقية؛ المشكلة الأزلية المتعلقة بأفضل نوع من الحياة يجب أن يعيشها الإنسان".
- (35) Keown, Damien. "It's Ethics, Jim, But Not as We Know It: Reflections on the Absence of Moral Philosophy in Buddhism." *A Mirror Is for Reflection: Understanding Buddhist Ethics*, edited by Jake H. Davis, Oxford University Press, 2017, p. 1.
- (36) تقول الفيلسوفة باربارا أو براين (Barbara O'Brien) بأن الوصف الدقيق للبوذية هو (ليس إلهي theistic)، أو (إلحادي atheistic)، بل (غير إلهي nontheistic)؛ حيث لم يصرّح بوذا بالنفي أو الإثبات فيما يخص فكرة وجود الإله، ولكنه أشار إلى أن فكرة وجود الإله ليست من الموضوعات المهمة في رفع المعاناة. للمزيد من المعلومات حول رأي أو براين، يُنظر:
- O'Brien, Barbara. "Atheism and Devotion in Buddhism." *Learn Religions*, Dotdash Meredith, 20 March 2019, <https://www.learnreligions.com/atheism-and-devotion-in-buddhism-449718>. Accessed 4 December 2024.
- (36) على الرغم من اتفاق التراث البوذي حول أهم المبادئ؛ إلا أن هناك بعض الاختلافات، فالتقليد القديم (تيرافادا/ نهر وادة Theravāda) يعتقد بالمبادئ التي سبق ذكرها جميعها، إلا أن مدرسة العربية العظيمة (ماهايانا Mahāyāna) طورت بعض هذه المبادئ لتكون أكثر أخلاقية، فمثلاً طورت مدرسة (الماهيانا) فكرة اللانفس إلى مبدأ (الفراغ shunyata)؛ حيث تعتقد أن جميع الظواهر غير قائمة بذاتها، وتعتمد بوجودها على شيء آخر، وهذا المبدأ الأساسي الذي أدى إلى ظهور مبدأ آخر هو مبدأ (الاعتماد المتبادل pratīyasamutpada)؛ حيث جميع الظواهر والكائنات مترابطة وغير متميزة، وليس لها جوهر خاص بها، وتعتمد في وجودها على الآخر، وهذا أدى إلى فهم (الكارما) بطريقة مختلفة، فبينما مبدأ (الكارما) في التقليد القديم يهتم بتحرر الفرد من المعاناة، بمعنى أن الإنسان مسؤول عن أفعاله؛ تقدّم مدرسة العربية العظيمة فهمًا أكثر أخلاقية؛ حيث تقول إن الناس تشارك في إنتاج (الكارما)، بمعنى أن الإنسان يجب أن يشارك ويساعد الآخرين في إنتاج (كارما) إيجابية، وتقدم مفهومًا جديدًا وهو (البوديساتفا Bodhisattvas)، ففي هذه الحال يرفض الإنسان التحرر، ويستمر في دورة الميلاد والموت لمساعدة الآخرين وإرشادهم للوصول إلى درجة التحرر.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
تعنى بنشر البحوث العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية باللغتين العربية والإنجليزية
تأسست عام 1974، صدر العدد الأول في يناير عام 1975

القائم بأعمال رئيس التحرير

د. محمد مهنا السهلي

الاشتراكات

- الكويت : للأفراد 3 دينار
- الدول العربية : للأفراد 4 دينار
- الدول الأجنبية : للأفراد 15 دولار
- للمؤسسات : 15 دينار
- للمؤسسات : 15 دينار
- للمؤسسات : 60 دولار

توجه جميع المراسلات إلى

رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص.ب: 17073 الخالدية - الرمز البريدي: 72451 الكويت



تلفون: 24986423 - 24984066 (965)

البريد الإلكتروني: jgaps@ku.edu.kw

موقع المجلة: <http://journals.ku.edu.kw/jgaps>

Facebook: jgaps.kuniv Email: jgaps_ku Instagram: jgaps.ku

تتوافر نصوص البحوث كاملة لدى:

<https://journals.ku.edu.kw/jgaps>

EBSCO Publishing Products

www.mandumah.com المنظومة

Google Scholar

الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (ARCI- Web of Science)

ISSN: 0254-4288

ISSN Online: 2791-1586